مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد12/العدد: 01 (2022)، ص 538-559

إيديولوجيا التعايش الحضاري في الأقطار العربية خلال القرنيين 12-13هـ/18-19م دراسة في الأصول التاريخية و الملامح الظاهرية

The Ideologie of civilized coexistence in arabic provinces durinig12-13h/18-19th study in historical origins and profils apparent

بن حليمة سمية[1]، مختار حساني*[2]

[1] جامعة الجزائر2، soumiabenhalima6@gmail.com

[2]جامعة الجزائر2، Hassani.mokhtar68@

تاريخ الاستلام: 2020/5/1 تاريخ القبول: 2022/3/9 تاريخ النشر: 2022/06/28

ملخص:

يعتبر التعايش الحضاري و الإيديولوجيا من المصطلحات الفكرية التي ظهرت خلال القرن العشرون ميلادي، حسب تقديرات الفكر الغربي، حيث شغل هذين المفهومين مساحة كبيرة في أقلام المفكرين الغربيين و الإسلاميين على حد سواء. لكن الدراسة ستكون مركزة أكثر على التعايش الحضاري، هذا المصطلح الذي يتميز بالتجاذب والشمولية في كل المجالات، نظرا لاستعمال مفهوم التعايش الحضاري على أكثر من صعيد خصوصا في المجال السياسي و الديني، لذلك خصصت وبالبحث عن طبيعة هذا المفهوم وما يرمي إليه .ثم البحث عن أصول التعايش الحضاري في نظام الدولة العثمانية و في الوطن العربي محل الدراسة ، من خلال التطرق لأصوله التاريخية وتحديد ملامحه الظاهرية في كل المجالات (الديني، السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي) و آليات تطبيقه في أرض الواقع، كما تهدف هذه الدراسة إلى توضيح تأثيرات فكر التعايش الحضاري في الوطن العربي ، هذا وستكون هذه الدراسة في الفترة الممتدة خلال القرنيين الثامن و التاسع عشر ميلادي نظرا لما تكتسيه هذه الفترة من أحداث تاريخية مفصلية. ومن خلال هذه الدراسة البحثية توصلت لمجموعة من النتائج المهمة التي نخص تاريخ الدولة العثمانية في الولايات العربية المشرقية و المغربية .

كلمات مفتاحية: التعايش الحضاري.، الإيديولوجيا، الدولة العثمانية، الأقطار العربية، الملامح الظاهرية.

*المؤلف المرسل: سمية بن حليمة، الإيميل: soumiabenhalima6@gmail.com

Abstract:

Civilizational coexistence and ideology are intellectual terms that emerged during the twentieth century AD according to estimates of western thought, as these two concepts occupied a large space in the pens of western and Islamic thinkers alike. In all fields, due to the use of the concept of civilizational coexistence on several levels, especially in the political and religious fields, I have devoted a search to the nature of this concept and its aims. Then search for the origins of civilized coexistence in the Ottoman Empire system and in the Arab world under study , by addressing its historical origins and identifying its outward features in all fields (religious, political, economic, social, cultural) and mechanisms of its applications on the ground, ad this study aims to clarify the effects of the thought of civilizational coexistence in the Arab world , this study will be during the eighteenth and nineteenth AD, given the articulated historical events of this period .During this research study , I reached a set of important results that summarize the history of the Arab world during the Ottoman authority.

Résumé :

La coexistence civilisationnelle et l'idéologie sont des termes intellectuels qui ont émergé au cours du XXe siècle après JC selon des estimations de la pensée occidentale, car ces deux concepts occupaient un grand espace dans les plumes des penseurs occidentaux et islamiques. Dans tous les domaines, en raison de l'utilisation du concept de coexistence civilisationnelle à plusieurs niveaux, en particulier dans les domaines politique et religieux, j'ai consacré une recherche à la nature de ce concept et ses objectifs puis cherchez les origines de la coexistence civilisée en le système de l'Empire ottoman et dans le monde arabe étudie, en abordant ses origines historiques et en identifiant ses caractéristiques extérieures dans toutes les domaines (religieux, politique, économique, sociale,

culturelle) et les mécanismes de ses applications sur le terrain ,comme cette études vise à clarifier les effets de la pensée de la coexistence civilisationnelle dans le monde arabe, cette étude portera sur les XVIIIE et XIXe siècles après JC, compte tenu de l'événement historique articulé de cette période. Au cours de cette étude de recherche j'ai atteint un ensemble de résultats importants qui résument l'histoire du monde arabe sous l'autorité ottomane.

Mots clés : coexistence civilisationnelle- idéologie- - Empire ottoman -monde arabe- traits extérieures.

- **مقدمة**

يعتبر موضوع التعايش الحضاري من القضايا التي شغلت أقلام الباحثين خاصة في مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية ما بين القرنين الثامن و التاسع عشر ميلادي، في هذه الفترة كانت الدولة العثمانية لاتزال قائمة ، والمعروف أن الدولة العثمانية حددت نظام حكمها منذ نشأتها أين اعتمدت على القرآن و السنة النبوية كمصادر في الحكم، فكان التعايش الحضاري أحد خياراتها في تحديد العلاقة بين المسلمين و غير المسلمين التابعين لها. لذلك خصصت هذه الدراسة للبحث في أصول التعايش الحضاري في نظام حكم الدولة العثمانية و بصفة خاصة في الولايات العربية ما بين القرنين 18و 19م هذه الفترة التي عرفت تراجع مكانة الإمبراطورية العثمانية وصعود موجة الاستعمار الأوروبي الحديث على قارتي آسيا و إفريقيا، في حين أن مضمون التعايش الحضاري يتناقض مع أحداث هذه الفترة، فكان هذا التناقض منطلق إشكالية الدراسة ، وعليه هل التعايش الحضاري في نظام الدولة العثمانية حتمية أم اختيار ؟. ولمعالجة هذه الإشكالية تطلب الأمر مناقشة من خلال مناقشة التساؤلات الآتية: ما لمقصود بالإيديولوجيا؟ ماذا يعني التعايش الحضاري؟ هل التعايش الحضاري مصطلح غربي جديد أم أنه موجود في الفكر الإسلامي؟ ماهي مرتكزات التعايش الحضاري؟ وماهي أنواعه؟، ماهي ملامح التعايش الحضاري في الدولة العثمانية و في الولايات العربية ؟ وهل الصورة مختلفة ؟!! .

ولمناقشة هذا الموضوع، اقتضى مني الأمر تقسيم الدراسة إلى جزأين وخاتمة، الجزء الأول يتعلق بتحديد المفاهيم ودلالاتها (الإيديولوجيا و التعايش الحضاري) إضافة إلى التطرق إلى مبادئ التعايش الحضاري وأنواعه، أما الجزء الثاني فخصصته للحديث عن مظاهر للتعايش الحضاري في الأقطار العربية العثمانية وذلك بداية بعرض مظاهره في الدولة العثمانية في مركز الحكم بإسطنبول ثم في الولايات العربية، أما الخاتمة فكانت تحصيل للنتائج التي توصلت لها.

أما منهجية الدراسة، فطبيعة الدراسة تطلبت الاعتماد على المنهج التاريخي و الوصفي إضافة المنهج التحليلي.

1. الإيديولوجيا و التعايش الحضاري قراءة في المفاهيم و الدلالات و ما يقاربهما من مصطلحات

الأصل في الأشياء تحديد مفاهيمها و الأصل في المفاهيم تحديد معانيها، ذلك أن المفهوم يسمح بإيصال المعنى للذهن فيسهل بذلك الفهم، كما يعتبر تحديد المفاهيم وضبطها في أي مجال بحثي بمثابة مدخل يسمح بانتقال القارئ من الفهم الجزئي إلى الفهم الكلي .

1.1مفهوم الإيديولوجيا:

تعتبر كلمة الايديولوجيا مصطلح دخيل على اللغة العربية أين أخذ المصطلح عدة تفسيرات بين المؤرخين و السياسيين و الفلاسفة وعلماء الاجتماع وغيرهم من المهتمين بتحديد المفاهيم، في العالم الغربي و العالم العربي على حد سواء ، وفيما يلي سأعرض بعض التعريفات:

ظهر مصطلح الايديولوجيا لأول مرة من طرف الفيلسوف الفرنسي دسترت دوتراسي والذي عرفها على النحو الآتي:"مجمل واقعات الوعي من حيث صفاتها و قوانينها و علاقاتها بالعلوم التي تمثلها ولاسيما أصلها" (أحمد، 2017، صفحة 36)، أين أنها العلم الذي يدرس الأفكار وبشكل موسع ، هذه الأفكار التي من شأنها أن تحدد مدى صحة أو خطأ الافتراضيات و النظريات التي ينطلق منها الباحث ، كما يمكن اعتبار أن الإيديولوجيا أخذت بعدا سياسيا بحكم أن دوتراسي كان يمزج بين الفلسفة و السياسية.

يعتبر عبد الله العروي أن كلمة الإيديولوجيا لا يمكن ترجمتها ترجمة حرفية إلى العربية لذلك اصطلح لها عدة عبارات على نحو أدولجة التي تحمل معنى مزدوج وصفي ونقدي في نفس الوقت ، كما أنها مرتبطة بحسب مجالات استعمالها ومستوياتها (العروي، 2012، الصفحات 9-12)، أما عن تاريخ ظهور مصطلح الإيديولوجيا كان نحو القرن الثامن عشر على خلاف أغلب المفكرين الاجتماعيين الذين

يرجعونه إلى القرن التاسع عشر حيث يربط ظهورها "بتحطيم أساسيات التنظيم الإقطاعي الذي ساد خلال فترة العصور الوسطى ومع ظهور ثقافة التنوع أو التعدد، تلك الثقافة التي تسمح بتعدد الأفكار و الآراء واختلاف في ووجهات النظر (السملوطي، 1989، صفحة 27)، أي ظهور الايديولوجيا كان بعد تحرر الثقافة و بالتالي نتج عنها حرية الفكر و التفكير لذلك اعتبر فرونسيس بينوا أن الإيديولوجيا ماهي إلا تمرير للأفكار (Francis, 1980, p. 5).

يتداخل مصطلح الإيديولوجيا مع مفهوم السيسيولوجيا وبالتحديد مع التحليل السيسيولوجي للأفكار ، هذا الأخير يقصد به عمليات تجزئة الكل الى مكونات بسيطة، في مقابل التركيب الذي يعني إعادة بناء الأجزاء فى وحدات كلية (شاوش، 2010-2011، صفحة 16)وهذا ما يفسر العلاقة بين الايديولوجيا و التحليل الاجتماعي (السيسيولوجي) للأفكار(Konstantinov, 1966, pp. 25-39) , وإذا قلنا السيسيولوجيا و الايديولوجيا هنا نقف عند كارل ماكس الذي استفاض في تحديد مفهوم الايديولوجيا في كتابه الايديولوجية الالمانية (ماركس، دت)، حيث يعتبر ماركس أن الإيديولوجيا مفهوم يشير إلى " القانون و السياسية و الأفكار ووعي الناس بالأشياء وبمجتمعهم و اللغة التي تتخلل كافة جوانب الانتاج الروحي والعقلي و الفكري والسلوكي" (السملوطي، 1989، صفحة 29).

تتداخل الكثير من التفسيرات لمصطلح الإيديولوجيا باختلاف الخلفية الفكرية لواضعي هذه المفاهيم، لكن ما يلاحظ من خلال عرض بعض المفاهيم السابقة ، أنها تشترك في كون الإيديولوجيا توجه فكري يتبعه الفرد بناء على معتقدات أو أفكار أو أنظمة سياسية وغيرها، الهدف منها تحديد رؤية معينة و السير عليها لتحقيق أغراض محددة في مختلف المجالات.

2.1 التعايش الحضاري:

لغة، ورد في لسان العرب " التعايش من العيش أي الحياة ، وعايشه : عاش معه كقوله: عاشره، (ابن منظور، 1978، الصفحات 498-497)، أما في المعجم الوسيط ورد معنى فالتعايش مشتق من عاش عيشا وعيشة ومعاشا صار ذا حياة فهو عائش، أعاشه جعله يعيش، عايشه عاش معه، تعايشوا أي عاشوا على الأ لفة و المودة و منه التعايش السلمي، والعيش معناه الحياة و ما تكون به الحياة من المطعم والمشرب و الدخل (مجمع اللغة العربية، 2004، الصفحات 640-639)،و المعيشة بضم الميم مكسب الإنسان الذي يعيش به (الفيومي، دت).

يضيف الفراهيدي في كتاب العين " العيش: الحياة والمعيشة التي يعيش بها الإنسان من المطعم والمشرب ، والعيشة: ضرب من العيش ، مثل: الجلسة، والمشية، وكل شئ يعاش به أو فيه فهو معاش ، النهار معاش (الفراهيدي، 2003، صفحة 261). الملاحظ أن مفهوم التعايش في اللغة بأنه لفظ مشتق من العيش ويعني الحياة وهذا ما تشترك فيه التعاريف السابقة.

اصطلاحا، مفهوم التعايش الحضاري عدة تفسيرات وشروحات كثيرة نظرا لتداخله مع مجالات كثيرة إن لم نقل كلها ، لذلك سأذكر البعض منها ، يحدد علي سلمان مفهوم التعايش الحضاري على النحو الآتي: الرغبة المتبادلة بين المختلفين دينيا ومذهبيا أو عرقيا أو سياسيا، في العيش المشترك على اساس احترام الحقوق و الخصوصيات و التركيز على دائرة القيم المشتركة و المصالح العليا بما يضمن تحقيق الأمن و السلم و الاستقرار في كل جوانب الحياة (سلمان، 2014، صفحة 51). أما الكعبي فيعرفه " بأنه تفاعل متبادل بين طرفين مختلفين في العادات و المعتقد و الدين، ويكون في المجتمعات المتنوعة الديانات و الثقافات التي تنتمي ألسنتها إلى أصول مختلفة في الدين و العرق" (الكعبي، 2014، صفحة 36).

يشير كلوس(klaus) إلى أن التعايش الحضاري مصطلح يدل على العيش جنبا إلى جنب في مجموعات متعددة ومتنوعة بشكل منظم حيث يأخذ التعايش عدة أشكال كالصداقة و الإدماج اضافة إلى التأثيرات الثقافية المنتشرة و المتواصلة (Klaus, 2006, p. 4)، ولا يحصل هذا الأمر إلا بتوفر جو مناسب وصفه بانز و صابي(Benz&Sabi) في قولهما: "التعايش الحضاري أو التعددية الفكرية تنمو في جو يسوده الثقة المتبادلة بين الأطراف المشاركة" (Benz shar, 2015, p. 14)، ويقصدان بذلك بأن التعايش الحضاري تتقبله المجتمعات التي تثق في بعضها البعض ، و أن التعايش لا يعني أن يتنازل كل طرف عن ثقافته أو دينه أو معتقده أو فكره للآخر، و هذا ما أشار إليه التويجري حيث يعتبر أن التعايش لا يتطلب شيء سواء أن يتعايش الناس دون أن يقتل أحدهم الآخر (التويجري، 1418هـ، صفحة 2)، ويذهب سبيجمان مع التويجري في هذا الطرح حيث يعتبر أن التعايش يدل على أن يعيش الأفراد مع بعض دون أن يدمر أحدهم الآخر (سبيجمان، 2006، صفحة 181).

يعتبر الكثيرين من الباحثين وبصفة خاصة الأقلام الغربية بأن التعايش الحضاري مفهوم معاصر ، إلا أن الرؤية الإسلامية لهذا المفهوم تثبت بأنه كان موجود منذ عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة، يقول عزوجل { ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في

ذلك لآيات للعالمين }(سورة الروم ، الآية 22)، كما حثت السنة النبوية على التعايش بين الأفراد وخير مثال على ذلك صحيفة المدينة المنورة، التي ضمنت حقوق المسلمين وغير المسلمين على حد سواء (مبروك، 2014، صفحة 10)، حيث حرص عليه الصلاة و السلام على ضرورة احترام الديانات الأخرى و بأسلوب حضاري و راقي، والتاريخ الاسلامي يفيض بهذا المفهوم ومظاهره و لا يسع المقام لذكرها جميعا.

من خلال عرض مجموعة من التعريفات لمصطلح التعايش الحضاري، ما يفهم منها أن التعايش الحضاري هو توجه فكري يشير إلى تقبل الآخرين و التشارك معهم بالرغم من مجموع الاختلافات القائمة بينهم و التي ترتكز في العادة على الدين و العرق و اللغة و التقاليد، في جو يسوده الثقة المتبادلة بينهم ، على أن لا يؤدي ذلك إلى تخلي أو تنازل أي طرف عن مبادئه أو مقوماته أو كل ما يتعلق بهويته.

3.1 آليات التعايش الحضاري

نظرا لشمولية التعايش الحضاري على مجالات كثيرة حيث نجد التعايش الديني و التعايش الثقافي و التعايش الاجتماعي و التعايش الاقتصادي ، اضافة إلى عمق التعايش الحضاري كونه يمس الأفكار بالدرجة الأولى ، لذلك وجب توضيح أسس التعايش الحضاري حتى يسهل استيعاب آليات تطبيقه.

1.3.1أسس (مبادئ) التعايش الحضاري:

كما سبق الإشارة إليه آنفا الرؤية الاسلامية للتعايش الحضاري واضحة، بحيث يرتكز التعايش الحضاري في الإسلام على:

الدعوة بالترغيب ، وهذا ما تلخصه الآية الكريمة{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين }(سورة النحل، الآية 125) ، وهذه الطريقة السلمية التي تجنب العنف هذا من جهة ومن جهة أخرى و لا تسمح بفرض الرأي بالقوة، حيث تتميز الدعوة في الإسلام بالحكمة و الموعظة الحسنة و عدم الإكراه (المطغنى، 1992، الصفحات 6-5).

الحوار و قبول الآخر، كثيرا ما حث الإسلام على الحوار كأسلوب راقي و هادئ للنقاش بين الأفراد و الجماعات، وكأسلوب خطاب لذلك جعل الإسلام الحوار أسلوبا للتواصل بين بني البشر ، يقول الله تعالى:{ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير}(سورة الحجرات، الآية 13)، ذلك أن الحوار في القرآن يدعوا إلى الرفق

والموعظة كثيرا ما تهديان القلوب الشاردة، وتؤلفان القلوب المتنافرة، ويأتيان بخير من الزجر و التأنيب والتوبيخ ، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف و لا تذليل له و تقبيح، حق يطمئن إلى الداعي (المرجان، 2006، صفحة 38)،وهذا راجع إلى طبيعة الأسلوب القرآني في حد ذاته والذي يجعل الحوار شرطا أساسيا للمناقشة بين الأفراد (Kurcucan & Erol , 1999, pp. 30-28).فإذا كان الإسلام يدعو إلى الحوا ر مع غيرنا ، فبيننا نحن المسلمين الأمر بديهي و مسلم به بل يعتبر هذا الأمر ثقافة معمول بها.

التسامح و المصالحة ، التسامح خلق حميد متوارث وفطري عند المسلمين منذ ظهور الإسلام هذا الخلق الذي ينطلق من العفو وعدم مقابلة السيئة بالسيئة بل العفو عند المقدرة، و الإسلام دين السماحة و التسامح يقول تعالى { **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم**}(سورة الأنفال الآية 61)، تختصر هذه الآية الكريمة مبدأ التسامح في الإسلام وبصفة خاصة مع الغير المسلمين، " فالتسامح يعني التعامل مع غير المسلمين وفق الحكمة و اللين و المعروف، سواء في ذلك التعامل في الخطاب ،أو في مطلق التصرف (الغشي و فاضل، 2013، صفحة 18).

فمن صور التسامح في الإسلام التعامل السمح مع أهل الذمة وهم غير المسلمين المقيمين تحت ذمة المسلمين يدفعون الجزية مقابل اقامتهم وعدم دخولهم في الإسلام ، الصدد تقول المستشرقة لورافيشيا غاليري: "ولما كانت أعمال الرسول والخلفاء الراشدين قد أصبحت في ما بعد قانونا يتبعه المسلمون فليس من الغلو أن نصر على أن الإسلام لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الديني، بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءا من شريعته الدينية" (لورافيشيا، 1971، صفحة 35).

احترام حقوق الآخرين، يعتبر من الأسس المهمة في فكر التعايش الحضاري، فالاحترام بصفة عامة يجلب التفاهم و يجلب التقدير سواء بين المسلمين أنفسهم، أو مع غيرهم ، و احترام الحقوق وعدم التعدي عليها من المبا دئ التي نص عليها القرآن الكريم و السنة النبوية وعلى مر التاريخ، وهذا ما أشار إليه سليمان الحقيل في دراسته المستفيضة حول الأصول التاريخية لحقوق الإنسان في الإسلام (Alhukail, 1999, pp. 34-19)، ذلك أن الإسلام يفرق بين الأنا و الآخر تفريقا لا يعتمد على أسس عرقية أو جنسية، وإنما تفرقة مبنية على أسس فكرية عقدية لاتضع جدارا شائكا بين الجانبين ، بل تفتح الحدود وتسمح بحرية الانتقال (جلاء، 2003، صفحة 89).

لقد ضمن القرآن الكريم والسيرة النبوية جملة من حقوق الإنسان على نحو حفظ النفس الإنسانية و حقن الدماء، نصرة الضعيف، حقوق المرأة، حرية الرأي من خلال مبدأ الشورى، الكرامة الإنسانية ، العدالة الاجتماعية ، إضافة إلى حقوق الأقليات في المجتمعات هذه الأخيرة التي تعد من القضايا الدولية الشائكة في عالمنا المعاصر والتي أخذت أبعادا سياسية و اجتماعية و قضائية، خصوصا في الفكر الغربي لأن في الإسلام لا يعد هذا الأمر مشكل، ونشير هنا إلى دراسة زيدان الذي تناول موضوع الأقليات في الإسلام (Abdulkarim, 1982, p. 79)، تقوم حقوق الإنسان في الإسلام على الحريات الخمس التي تباهي الحضارة الغربية بالكشف عنها، متجاهلة أن الإسلام قد وجه إليها من قديم، وهي حرية الاعتقاد و حرية الرأي و التعبير، وحرية العمل و حرية التعلم، وحرية التملك و التصرف (مذكور، 1992، صفحة 38).

كانت هذه المبادئ الأساسية التي يقوم عليها التعايش الحضاري، فهذه الأسس مترابطة و متكاملة فيما بينها ، أي من الضروري توفرها جملة واحد ، فيحصل بذلك التعايش الحضاري.

2.3.1أنواع (أشكال) التعايش الحضاري

أ-التعايش الديني: يعتبر الدين من المفاهيم التي لاقت اختلافات كثيرة في تحديد معناه، نظرا لدقة هذا المصطلح، فالدين من منظور علماء الاجتماع يعبر عن مجموعة من الأفكار المجردة و القيم أو التجارب القادمة من رحم الثقافة، ولذلك فالدين هو رؤية لا غنى عنها في العالم تحكم الأفكار الشخصية و الأعمال، والمعتقد الديني يرتبط عادة بالطبيعة و الوجود، وعبادة اله أو آلهة (النشار، 2018، الصفحات 158-32). يحدد الباقوري مفهوم الدين على أنه معنى يتضمن خضوع المقهور للقاهر، والضعيف للقوي بدافع من رجاء لمنفعة او انتقاء لمضرة ومن هنا يكون الدين مرتبط أشد الارتباط بغريزة من أقوى غرائز الإنسان، وهي غريزة حب الخضوع لكل قادر على جلب نفع ودفع ضر (الباقوري، صفحة 19) . أما منظور الإسلام للدين ، فواضح لا غبار عليه لا يحتاج إلى تفسيرات، فلقد ولدنا على دين الإسلام الذي اعتنقناه بالفطرة، لذلك فالدين الإسلامي من الديانات التي تسهل وجود التعايش الديني بين مختلف الديانات، وهذا راجع إلى ميزته يقول في ذلك السيد قطب : "أنه لا يغفل لحظة، في أي خطة أو خطوة، عن فطرة الإنسان وحدود طاقته، وواقع حياته المادي أيضا، وأنه في الوقت ذاته يبلغ به كما تتحقق فعلا في بعض الفترات، وكما يمكن أن يتحقق دائما كلما بذلك محاولة

جادة إلى مالم يبلغه أي منهج آخر من طبع البشر، على الإطلاق وفي يسر و راحة وطمأنينة على اعتدال" (قطب، 2001، صفحة 6).

لا يعني التعايش الديني ذوبان الديانات فيما بينها ، وبالخصوص بالنسبة للدين الإسلامي، لذلك فرق الإسلام بين حكم المعاملات المختلفة التي تجمعنا بغير المسلمين وعلى مر التاريخ ، و بين الحفاظ على الشخصية الإسلامية، و يشير موسى الشريف بأن هذا الأمر لا شية فيه أي عدم التنازل عن شيء من ثوابت ديننا ،وهذا القيد لا ظلم فيه ، فكل الدول لها دساتيرها ونظمها التي تظم شؤون الجاليات و الأقليات (الشريف، 2003، صفحة 41).

وبها هذا يتحقق التعايش الديني ، إذا ما فهمت الديانات بأن الاختلاف العقائدي لا يفسد شيء في التعايش الديني، خصوصا عند الحديث عن علاقة العالم الإسلامي بالعالم الغربي المسيحي و اليهودي وغيرهم من الديانات الأخرى. وعليه حق يكون هناك تعايش ديني حقيقي تحترم فيه حقوق الآخرين و حرياتهم ، لابد من الفهم الهادئ للدين وعدم التعصب ، إضافة إلى عدم التفرقة بين بني البشر لا على أساس ديني و لا عرقي و لا نوعي ولا علمي ، فالوحدة البشرية و المساواة هي من تجمعنا.

ب-التعايش الحضاري الثقافي:

ليس ببعيد عن الدين ، الثقافة من المعايير المهمة في عملية التعايش، ذلك أن الثقافة هي المحرك الأساسي في عملية البناء الحضاري للأمم، وليس من المبالغة بأن أقول بأن الفصل بين الدين و الثقافة أمر مستحيل يقول في ذلك زعفان هيثم : فثقافة كل أمة وكل لغة هي حصيلة أبنائها المثقفين بقدر مشترك من أصول و فروع وكلها مغموس في الدين الذي أخذ عند النشأة ... فالثقافات متعددة بتعدد الملل، ومتميزة بتميز الملل ولكل ثقافة أسلوب في التفكير و النظر و الاستدلال منتزع من الدين الذي تدين به لامحالة (زعفان، 2009، صفحة 36). أي أن تعدد الأديان من تعدد الثقافات وهذا ما يعطي أهمية بالغة للثقافة في تكوين الحضارة و النهضة في المجتمعات.

يرتكز التعايش الثقافي على مبدأ الاعتراف بالتنوع الثقافي في كل المجتمعات، لأن الثقافة تجمع بين تنوع العقيدة وتنوع الدين و تنوع العادات و نوع التقاليد إضافة إلى تعدد الألسن، وهذا الأمر اذا ماأخذ في جانبه الايجابي سيعطي دفعا مستحبا في حضارة الأمم، يقول عمارة : فهذه الملل و النحل و الأعراق و الطوائف و المذاهب موجودة منذ قرون، منها تبلورت الأمة الواحدة... فتنوعها ميزة ومصدر غنى وثراء، وليس فيه ولا نقطة ضعف طالما ابتعدنا بها عن غلوى و الإفراط و التفريط (عمارة، 2008، صفحة

249). ويكون التعايش الثقافي بين بني البشر كافة، عندما هناك تبادل في العلوم وحركة الترجمة و التأليف ومن خلال الآداب و الفنون، ولا عيب في ذلك ما لم يمس هذا التقارب و التعايش الثقافي أصول العقيدة الإسلامية، وهذا ما يؤكد عليه الخطيب في دراسته أين دعى إلى ضرورة تقييم البناء الثقافي في الأمم (عودة، 1979، صفحة 111)، حيث حدث خلط بين التنوع الثقافي و التعددية الثقافية هذا المصطلح يشير إلى ثنائية الثقافة أو تعدد ثقافات في المجتمع الواحد (راتساني، 2013، صفحة 16).

لكن هذه التعددية ومن من منطلق الفكر الغربي أصبحت تهدف إلى محاولة كل طرف فرض ثقافته في م جتمع معين بوسائل تتصف بالحيلة ، وتتجاوز حقوق الآخرين، وهذا ما حدث مع كثير من الشعوب الإسلامية التي تعرضت للاستعمار الأوروبي الذي حاول في كثير من المرات أن يمحو الثقافة الإسلامية و ينشر الثقافة الغربية، فلا يحقق التعايش الثقافي بين الأمم ، إلا إذا اعترفت المجتمعات فيما بينها بثقافة الآخرين و تعارفت المجتمعات من خلال ثقافاتها المتنوعة بكل ود وبرغبة منها ، فالاعتراف المتبادل أساس التعايش الثقافي وغيره.

ج-التعايش الحضاري الاقتصادي:

يشكل الاقتصاد في حاضرنا معيار تقدم الدول من تخلفها، ذلك أن الاقتصاد يمثل وجه حضارة الأمم، لكن المقصود هنا بالتعايش الاقتصادي التعاون و التبادل التجاري بين الشعوب بغض النظر عن الديانة فيأتي التعايش الاقتصادي في علاقة تكاملية وترابطية مع التعايش الديني و التعايش الثقافي. ركز الإسلام على مبدأ التعايش الاقتصادي في كثير من المعاملات الاقتصادية مع غير المسلمين، ومن صور ذلك الجزية ، وليس في هذا الأمر إرهاق لغير المسلمين بالضرائب يقول الكبيسي: "إن تناسب التكليف المالي مع المقدرة و الطاقة للفرد أو للأرض للخراج أو الجزية ، يكون سببا في التعايش الاقتصادي والسلمي ، إذ هو يهيأ أهم عناصر الإنتاج الفاعلة في عملية الإنتاج ومزاولة النشاط الاقتصادي" (الكبيسي و الحديثي، 2011، صفحة 345).

أما في عالمنا المعاصر ، فالتعايش الاقتصادي يظهر في عدة أشكال من بينها التبادل التجاري بين الدول، وهنا يفرق منير الحمش في الاعتماد على التبادل التجاري بحيث يكون نافع اذا كان بالتراضي و يكون ضارا اذا كان بالإخضاع و انعدام التكافؤ (الحمش، 2013، صفحة 332)، فعندما يكون التبادل بالتراضي هنا يمكن القول بأنه تعايش اقتصادي. يسقط التعايش الاقتصادي عندما تكون هناك مبدأ

سيطرة الدول القوية –الدول المتقدمة- على الدول النامية – المتخلفة ، هذا ما أدى بكثير من الدول النامية للخضوع للتبعية الاقتصادية للعالم الغربي المتقدم الذي راهن على القوة الاقتصادية لتحقيق السيطرة العالمية وهذا ما وصفه عزت أحمد بأنها انتقال من حرب الأعصاب إلى حرب الاقتصاد (عزت، 1993، الصفحات 124-117).

د- التعايش الحضاري السياسي:

يرتبط التعايش الحضاري ارتباطا وثيقا بالسياسة هذه الأخير التي تشير إلى فن حكم الدولة ، وعلم السياسية يقصد به حكم الدولة أو دراسة المبادئ التي تقدم عليها الحكومات التي توجه هذه الحكومات بالمواطن و بالدول الأخرى (عصام، 1989، صفحة 8)، فمحرك الدين هي السياسية، وموجه الثقافة هي السياسة، و المتحكم في الاقتصاد هي السياسة.

و عند الحديث عن التعايش السياسي ، فإن ذلك يشير إلى التعايش السلمي الذي ظهر في القرن 20م والذي دعي إليه كل من المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي و الذي كان يدعوا إلى تحويل الاقتصاد من الخاص إلى العام (شومبتير، 2011، صفحة 33) والمعسكر الغربي بقيادة أمريكا كان يدعو إلى تكوين نظام اقتصادي قائم على الاستثمارات الفردية في إنتاج السلع (جويس، 2012، صفحة 13)، بعد صراع طويل والمعروف بالحرب الباردة، كحل للصراع الإيديولوجي الذي كان بينهما، بهدف ترويض الخلاف العقائدي بينهما، أو العمل على احتوائه أو التحكم في إدارة هذا الصراع، بما يفتح قنوات الاتصال (خلف، 2019، صفحة 8). ومنذ ذلك الوقت انتشر مفهوم التعايش السياسي بهذا المفهوم مرتبطا بهذا الحدث التاريخي .

لكن اليوم ، الحديث عن وجود تعايش سياسي بين الأمم هو من المستبعدات ، ذلك أن السياسة التي كانت قائمة في وقت سابق على الحرية أصبحت قائمة على الاستبداد السياسي، بقول الغزالي : ليست هذه سياسة يمليها دين ولكنها سياسية لادين لها، أملت بها أهواء الاستبداد فأعمت صاحبها عن طريق الرشاد ....وتلك أولى بركات الاستبداد السياسي، منذ أفلت الأمر من رأى الأمة إلى رأى الأفراد (الغزالي، 2005، الصفحات 203-202)، زد على ذلك ظهور مسألة فصل الدين عن الدولة المعروفة بالعلمانية، والتي تصّ على إلغاء الدين فحلّت محله كأيديولوجيا أو كعقيدة تفسّر الكون و الإنسان ودوره و الأخلاق ، مركزّة على الحّرية في الاعتقاد حتى وان كان ذلك الاعتقاد منافيا لمبادئ تلك الدولة، ومصدرها الفكر الغربي (Phillips, 2011, pp. 35-5) حيث لا توجد في الفكر الإسلامي، وانّما انتقل إلى المجتمعات الإسلامية هو تأثيراتها التي أصبحت جلّية واضحة (الحوالي ب.، دت) ، هذا الامر الذي عكر صفو التعايش السياسي. لذلك وجب التفريق بين دور الدين ودور السياسة، فلم يكن الدين في الفكر الإسلام مشكلة تتعارض مع السياسية ، بل بالعكس يعتبر الدين مكمل للسياسة (غليون، 2007،

صفحة 119), فالسبيل الوحيد لتحقيق التعايش السياسي في عالمنا المعاصر هو المساواة والعدل واحترام سيادة الدول مع التخلي عن فكر الزعامة العالمية ، لأن الإنسان ولد حرا بالفطرة ، وما الأنظمة السياسية إلاوسيلة لتنظيم هذه الحرية.

و-التعايش الحضاري الاجتماعي:

عند الحديث عن كل ما هو اجتماعي فإن من الطبيعي الحديث عن الفرد (الإنسان) المكون للمجتمع ، والتعايش الاجتماعي أخذ مساحة كبيرة في فكر التعايش الحضاري لأنه يرتكز على الإنسان الذي هو محور التعايش الاجتماعي في المجتمع ، هذا الأخير الذي يشير إلى الجماعة التي تحيط بالفرد من البشر، بحيث يرتبط معهم بعلاقات اجتماعية، ولكل مجتمع شكله الخاص الذي يميزه عن غيره من المجتمعات، حيث يسعى جاهدا لتشكيل أفراد على أساس ثقافته المتميزة التي ينبع منها ، ويربي أفراده على أن يكونوا اجتماعيين بما يمكنهم من القيام بوظائفهم على قدر عال من الثقافة، مما يمكنهم من تطوير المجتمع، ليصل إلى الأفضل (سعدي، 2006، صفحة 60),

يعكس التعايش الاجتماعي صور العلاقات و الروابط الاجتماعية بين الأفراد في المجتمع، فيظهر التعايش الاجتماعي في العلاقة التي تكون بين الفرد و الجماعة، ، هذه العلاقة التكاملية بين الفرد والجماعة تجعل من التعايش الاجتماعي مقبولا إلى حد بعيد (الزايد، 2006، صفحة 131)، فبهذه العلاقة يحصل التعارف و التسامح و التكافل و التعاون والمحبة و الود بين أفراد المجتمع، وهذا من صور التعايش الاجتماعي.

تعتبر المشاركة الاجتماعية من مظاهر التعايش الاجتماعي، ذلك أن التشارك بين الأفراد يولد بينهم روح التضامن و التعاون ويتحقق التعايش الاجتماعي كلما التزم الفرد بالمعايير الاجتماعية ، وهي المبادئ العامة يتمسك بها الأفراد تمسكا شديدا بحيث تؤثر على سلوكياتهم وتجعلهم يتميزون بالتطابق و التشابه، وهذا ما يساعد على زيادة درجة وحدة الجماعة وتماسكها، والمعايير تصف السلوك الحقيقي أو الواقعي أكثر مما تصف السلوك المتوقع (زايد، 2005، صفحة 37)،كما تعتبر مسألة العدالة الاجتماعية من الضروريات التي يجب أن تتحلى بها المجتمعات، فمتى ما شعر الفرد بالعدالة في مجتمعه زاد فيه ذلك رغبة في تطوير مجتمعه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تسمح العدالة الاجتماعية بالتقارب بين المجتمعات ، وهذا هو التعايش الاجتماعي في حد ذاته.

2. التعايش الحضاري في الأقطار العربية العثمانية خلال القرنيين 18-19م:

أشرت في عنوان المقال إلى الفترة الزمنية محل الدراسة، وهما القرنيين الثامن و التاسع عشر ميلادي في هذه الفترة كانت الأقطار العربية تحت الحكم العثماني منذ القرن 16م، ولايزال التفاعل فيما بينها قائما, حيث عرفت المنطقة العربية في فترة الحكم العثماني أحداثا كثيرة كما شكلت جزءا كبيرا من امتداد الإمبراطورية العثمانية.

يعود مبدأ التعايش الحضاري في فكر الدولة العثمانية إلى بداية نشأة الدولة العثمانية (يلماز، 1977) والتي نشأت على دين الإسلام و الإسلام يقر بالاختلاف والتنوع العرقي و الديني و الثقافي وغيره ، حيث ضمت الدولة العثمانية الكثير من الشعوب المسلمة وغير المسلمة، فمنذ البداية شكل الإسلام في الدولة العثمانية إيديولوجية دينية و سياسية في آن واحد، ولعب دورا مركزيا في التكوين التاريخي للسلطنة، فمنذ نشأتها ظلت الدولة العثمانية دولة إسلامية مكرسة نفسها لتوسيع دار الإسلام أو الدفاع عنه، وخاضت لأجل ذلك حروب متواصلة ضد أوروبا المسيحية لقرون ستة (سنو، 1997، صفحة 3), هذه الحروب بالرغم من سلبياتها إلا أنها حملت معها إيجابيات كثيرة يقول في ذلك أبو محمد: "فالتاريخ بيننا غزل حينا ، وحينا آخر غزوات متبادلة ، ومع الغزوات و الغزل تحدث الاحتكاكات و التلاحمات و التلاقح الثقافي و العلمي والتكنولوجي ، ومن ثم التلاحمات الحضارية التي يتولد عنها قرب وحب يصل أحيانا إلى درجة الذوبان، و أحيانا أخرى بعد ونفور يصل إلى حالة الرفض و الإنكار" (أبو محمد، 2009، صفحة 28).

وفي هذا السياق كان التمازج بين الشعوب في الدولة العثمانية عبر كل مراحلها التاريخية ، منذ نشأتها إلى غاية سقوطها، يصف ذلك حسن الزين في قوله: " كانت العصور الأولى لسيطرة آل عثمان ذهبية شمل فيها الناس الأمن و الرخاء و السلام الروحي، ولم يكن فوز آل عثمان مستمدا ، كما يظن بعض الناس من السيف و الشجاعة، بل كان مما هو أعظم من السيف و الشجاعة ، وهو الاحترام و الحق و الوفاء بالعهد و الخضوع لسلطان القانون و الشرع (الزين، 1982، صفحة 137)، فكانت انطلاقة الدولة العثمانية مبنية على الشريعة الإسلامية التي تصلح لكل زمان ومكان.

إضافة إلى الإسلام الذي يحث على التعايش الحضاري بين بني البشر، وضعت الدولة العثمانية نظام الملل منذ عهد السلطان محد الفاتح ، يتعلق بغير المسلمين وهم أهل الذمة ينص على حماية غير المسلمين من يهود ومسيحين وغيرهم من طرف الدولة العثمانية، حيث كانوا يتمتعون بجميع الحقوق كما كان عليهم أداء الواجبات (كوندوز آق، 2008، الصفحات 666-661)،

وبذلك ضمن لغير المسلمين العيش في كنف الدولة العثمانية في أمن و استقرار، ويؤكد على ذلك الجندي في قوله : "فلم يكن التمييز بين مواطنيها يتم على أساس العرق أو القوم، وإنما على اساس الدين أو الملة، وكان هذا التمييز وظيفيا ولم يكن فيه شيء منه عنصريا، فالذين يختلفون في الدين هم رعايا السلطان أيضا، يربط بهم عقد تبادل فيه الطرفان الحقوق و الواجبات" (الجندي، 2017، صفحة 420).وفي نفس السياق يقول المؤرخ التركي كوندوز : "لقد عملت الدولة العثمانية و الدولة التركية الإسلامية الأخرى كافة بهذه القواعد الإسلامية، فلم تفرق بين المواطنين المسلمين وغير المسلمين في دار السلام أمام القانون، كذلك لم يقف اختلاف الدولة و اللغة و اللون ، عائقا أمام تنفيذ الأحكام الشرعية على المسلمين كافة" (كوندوز آق، 2008، الصفحات 610-611).

1.2 مظاهر التعايش الحضاري في الولايات العربية:

شكل مبدأ التسامح الديني و ما يقتضي من تقبل اجتماعي و ثقافي و تعامل اقتصادي مع غير المسلمين مبدأ سارت عليه الدولة العثمانية، سواء في مركز الحكم باستانبول أو في الولايات العثمانية في الوطن العربي أو في أوروبا.

في المشرق العربي، ويقصد به الدول العربية الواقعة شرق الوطن في مقابل المغرب العربي وتضم دول : العراق، سوريا، فلسطين، الأردن ، لبنان، السعودية، الكويت، قطر، الإمارات، البحرين، سلطنة عمان، اليمن، يضاف إليها مصر في بعض الأحيان (حميدة، 1997، الصفحات 1-428)، فمنذ العصور القديمة جمع أجناس متنوعة لغويا ودينيا وعرقيا ، أهمم اليهود و المسيحيين بكل طوائفهم، فيفي لبنان وخلال العهد العثماني عاش المسحيين واليهود بكل حرية، وكانت لبنان من أكثر الولايات العربية العثمانية ضما لهذه الديانات ومختلف الطوائف أشهرهم الدروز و الموارنة، وقد أمت لبنان في بداية الفتح العثماني أسر مسيحية من البلدان المجاورة، ولاسيما من حلب ومعرة النعمان ودمشق وسواها، ومن هذه الأسر المسيحية و المارونية بالذات، الوافدة إلى لبنان و التي لعبت دورا بارزا في تاريخ الطائفة والوطن (عبد الله، 1997، صفحة 208) هذا وقد تدخلت الدولة العثمانية في كثير من المرات لفض النزاع بين الدروز و الموارنة ، هذا الصراع المعروف بينهما و الذي امتد لعصور عدة (فريد بك، 1896، الصفحات 251-253)، هذا ما يعكس صورة التسامح الديني من طرف الدولة العثمانية.

وفي هذا السياق يشير الباحث عبد الله أبي عبد الله في دراسته حول الموارنة، أن السلطان سليمان القانوني كتب فرمان إلى والي طرابلس –لبنان- يوصيه بالسهر على حقوق الطائفة

المارونية، وعدم السماح لأحد بأن يتعرض للبطريك وأن يعاقب بشدة كل من يخالف هذا الأمر (عبد الله، 1997، صفحة 202)، وهذا دليل على حرص الدولة العثمانية على حماية أهل الذمة ومن مركز السلطة الحاكمة، وعلى نفس النحو كان يعامل غير المسلمين في الشام و العراق و اليمن ومختلف دول المشرق العربي ، لأن الحكم العثماني واحد لا يتغير بتغير المجال الجغرافي.

غير أن أمر التعايش الحضاري في فلسطين و التعايش الديني على وجه الخصوص فيه شيء من الخصوصية، ذلك أن تواجد اليهود بفلسطين في إطار بحثهم عن دولتهم المزعومة ، وأنهم أحق بالقدس من المسلمين حيث أخذت قضية يهود فلسطين أبعادا دينية وسياسية و تاريخية ، ذلك أن اليهود يعتقدون بأن القدس مكان ديني لهم (سالم، 2007، الصفحات 111-128) والمعروف أنهم كانوا مشتتين في العالم إلى غاية الإعلان عن وعد بلفور من طرف بريطانيا سنة 1917 ثم بإعلان قيام دولتهم سنة 1945م (الكيالي، 1990، صفحة 23 وما بعدها). لكن هذا لا يعني أن اليهود في القدس كانوا مضطهدين من طرف العثمانيين على العكس تماما، مارسوا شعائرهم بكل حرية وعلى حد سواء المسحيين بالرغم من تاريخ هؤلاء في المنطقة حيث حاربوا المسلمين لسنوات طويلة في إطار الحروب الصليبية. ولم يمنع هذا الأمر أن يعيش هؤلاء جميعا في كنف الدولة العثمانية في أمن و استقرار، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أودميز في دراسته حول تاريخ فلسطين ، حيث كان للمسيح في القدس أحياء خاصة بهم ، بالتحديد في المنطقة الشمالية الغربية من مدينة القدس بمرقد عيسى عليه السلام منذ القرن السادس عشر ميلادي، أما حي اليهود فكان جنوب القدس بالقرب من حائط المبكى وكان ذلك منذ القرن الثالث عشر ميلادي (أودميز، 2013، الصفحات 35-38).

بالرغم من أنهم كانوا يؤذون المسلمين في كثير من الأحيان إلاأنهم عاشوا في أمن و استقرار ومن مظاهر هذا التعايش أيضا وجود معابد لليهود في الأحياء المسلمة في القدس (أودميز، 2013، صفحة 40) ، لكن في مقابل ضمان حماية غير المسلمين و تمتعهم بكامل حقوقهم لا تقبل الدولة العثمانية المساس بالدين الإسلامي وبسب الدين ونحوه من طرف غير المسلمين وورد هذا الأمر في كثير من الحالات، حيث كانت الدولة العثمانية تقوم بمعاقبة القائمين بمثل هذه الأمور عن طريق مشيخة الإفتاء (كايدو، 1992، صفحة 131).

أما في مصر، ضمت بدورها المسيحيين و اليهود ، وبصفة خاصة الأقباط المسيحيين الذين لهم تاريخ طويل في مصر (المقريزي، دت)، حيث مارس أقباط مصر شعائرهم وكان لهم كنائس، كما كانت العلاقة بينهم وبين المسلمين علاقة أخوية، حيث أمر الولاة العثمانيين بجواز ترميم كنائس الأقباط القديمة (محمود أ.، 2015، الصفحات 217-330)، وهذا الأمر

فيه كثير من التسامح الديني من طرف الدولة العثمانية، يشير إلى ذلك سعيد عبد الحكيم زيد في دراسته حول أقباط مصر في قوله: كان الأقباط في مصر يتولون أعلى المناصب، ويشكلون الجهاز المالي للدولة المصرية بل كان منهم الوزير الأول (سعيد، 2007، صفحة 110)، فبوصول الأقباط إلى مناصب الحكم هذا الأمر يدل على الثقة التي كانت متبادلة بينهم بين الدولة العثمانية، والحرية التي كانوا يتمتعون بها طبقا لنظام الملة كما أشرت إليه سابقا.

أما في المغرب العربي ، فالأمر لا يختلف عنه في المشرق العربي، بإيالة الجزائر عاش اليهود الذين قدموا من الأندلس وإيطاليا وغيرها ، مع الجزائريين وكونوا إحدى طبقات المجتمع الجزائري في العهد العثماني كما تناول الكثير من الباحثين مسألة يهود الجزائر على نحو جيلبر الذي خصص دراسته ليهود الجزائر من جميع النواحي (Gilbert, 2003) أما ترينغا تناول مسألة يهود الجزائر من الناحية النفسية (Victor, 1902) . لقد سمح لليهود ممارسة عقيدتهم الدينية وعاداتهم في حرية تامة، وكان وضعهم القانوني يكاد لا يختلف عن وضع الجزائريين ، إلاأنهم كانوا يخضعون في أحوالهم الشخصية لقوانينهم الدينية (شويتام، 2005-2006، صفحة 132)، كما حضي يهود الجزائر بمعيشة و حياة مرموقة ، لم يجدوها في الدول الأوروبية، ومن مظاهر ذلك استقرارهم في المدن فقط دون الأرياف وبصفة خاصة مدينة الجزائر وانتشروا في ربوع إيالة الجزائر (طوبال، 2004-2005، صفحة 82)، ويشير سعد الله أيضا في دراسته المتخصصة حول يهود الجزائر إلى تواجدهم بالمدن الشمالية لإيالة الجزائر ، وإلى سرعة انتشارهم في هذه المدن (سعد الله، 2004، صفحة 132).

أما النصارى، فتواجدوا في الجزائر بصفات مختلفة من بينها القناصل، و الأسرى و التجار وكلا منهم تلقى معاملة حسنة من طرف العثمانيين، من مظاهر ذلك فئة الأعلاج وهم الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام (حنيفي، 2008، صفحة 124)، فلولا سماحة الإسلام و منه تسامح العثمانيين معهم لما اعتنقوا الإسلام، وفي هذا الشأن يقول سعيدوني: "التسامح و الترحاب اللذان كان يتلقاهما الأوروبيين الراغبون في العمل بالبحرية الجزائرية و المعروفة بالأعلاج، وهذا ما سمح لكثير منهم بتبوء منزلة مرموقة، ومكانة عالية بعد اعتناقهم الإسلام و ارتباطهم بالجزائر، رغم أصولهم المختلفة إغريق، إسبان ، إنكليز" (سعيدوني، 2009، صفحة 133)، هذا وقد كان الأسرى يتلقون معاملة من طرف سجانيهم وحتى العبيد من طرف أسيادهم (حماش، 2006، الصفحات 758-759) وهذا ما يؤكد على أن التعايش الحضاري بمختلف مجلاته كان موجودا في إيالة الجزائر.

وليس ببعيد عن إيالة الجزائر، شكل يهود إيالة تونس ظاهرة مميزة في تاريخ تونس العثمانية حيث تواجدوا بكثرة ، وقد حظي يهود تونس بمعيشة في غاية السلمية بل وصلوا إلى حد تكوين مجتمع بأعداد تقدر بالآلاف، كما كانت لهم التجارة وكل الحرية بدون مضايقة من الحكم العثماني آنذاك (بن رجب، 2010، صفحة 578). وما يجدر الإشارة إليه أن تواجد اليهود في تونس وبهذه المكانة كان في العصور الوسطى، حيث كان المسلمون يعاملون اليهود معاملة حسنة وفقا ما نصت عليه الشريعة الإسلامية، ومن بين الأدلة على ذلك لجوء اليهود إلى دور القضاء الإسلامية لحل خلافاتهم ، نظير العدل الذي لمسوه في المسلمين (عطا، 2005، صفحة 271).

استمرت حياة اليهود في تونس بنفس الاستقرار الذي عرفوه منذ العصور الوسطى واستمروا في الحصول على مختلف الحقوق ، ومن بينها امتلاك العقار (بن خوجة، 1986، الصفحات 277-278)، خصوصا مع إصدار دستور الأمان في عهد محمد باي سنة 1857م، وبموجب هذه الوثيقة تساوى السكان مع الجاليات المختلفة و الغير مسلمة في الحقوق (مهني، 2015، الصفحات 152-153) كما أطلق يد الأجانب في تونس. عرفت صفاقس دخول المسيحين إليها ودخول يهود أوروبا خلال القرن التاسع عشر، بعد سنة 1826م وقد سبقهم بقليل يهود تونس (الزواوي، 1988، صفحة 370). حيث شهدت تونس توافد كبير للجاليات الأوروبية الأجنبية ، وبصفة خاصة خلال القرن الثامن عشر (Jean, 1960)، وهذا دليل آخر على التعايش الذين كان قائما بين المسلمين و غير المسلمين في إيالة تونس.

أما في ليبيا أو كما كان يطلق عليها طرابلس الغرب، فالصورة غير مخالفة لوضعية غير المسلمين في إيالتي الجزائر و تونس، حيث عرفت طرابلس الغرب وجود الجالية اليهودية بكثرة و الجالية الأوروبية المسيحية، حيث قدموا بصفة خاصة من إيطاليا، و إسبانيا منذ العصور الوسطى. يصف محمود ناجي حال اليهود في إيالة طرابلس في قوله: "كانت توجد لليهود بعض القرى في سرت ومن جملة ذلك أن المكان بين مدينة السلطان و المختار كان يحمل اسم اليهودية، لم يكن إلا بسبب نسبه لليهود اللذين كانوا في الماضي يقيمون هناك ، ويوجد حالا في طرابلس و بنغازي ودرنة و جبل غريان ومسلاتة يهود محليون كثيرون يقيمون داخل الحي الذي يسمونه الحارة، ويشتغلون بالتجارة و حق بالفلاحة" (ناجي، دت، صفحة 118).

هذا وقد تمتع اليهود و المسيح في ليبيا بجملة من الحقوق من بينها الحقوق المتعلقة بالتعليم، وقد اعتبرت الدولة العثمانية شؤون التعليم من جلة الأمور المرتبطة بالأديان و المذاهب فخولت لجميع الطوائف المسيحية و اليهودية ، حق تأسيس المدارس و إدارتها أيضا، ولهذا أخذت الطوائف المختلفة تؤسس معاهد تعليمية خاصة بها وتدير هذه المدارس كما

يروق لها (غنيمي، 1976، صفحة 111)، هذا وقد عرفت إيالة طرابلس الغرب –ليبيا-انتشار اليهود و المسيحيين في ليبيا بسرعة ، خصوصا عندما منحت لهم الدولة العثمانية حرية التعليم ، فظهرت بذلك الأحياء اليهودية و المسيحية ، وظهرت معها المدارس و المعابد و الكنائس (غنيمي، 1976، صفحة 115).

كثير من المؤرخين و المهتمين بشؤون الدولة العثمانية يفسرون عدم تدخل الدولة العثمانية في طبيعة التعليم في الولايات العربية وغيرها التي كانت تابعة لها بأن الدولة العثمانية ذات طبيعة عسكرية، لذلك فهي لا تهتم بالتعليم ، وهذا الأمر فيه من الصحة قسط كبير ، لكن يمكن تفسير هذا الأمر بأن العثمانيين كانوا على احترام شديد لخصوصيات المناطق التي حكمها العثمانيين سواء كانوا عرب أو أجانب، وهذا ما سمح لغير المسلمين بالتعايش مع المسلمين في جميع المناطق التي حكمها آل عثمان.

3.خاتمة:

من خلال البحث بالدراسة حول التعايش الحضاري من حيث دلالة المصطلح و ما يقاربه من مفاهيم ومن حيث عرض مظاهر و أمثلة عن التعايش الحضاري بمختلف مجالاته في فكر و نظام الدولة العثمانية في الأقطار العربية نصل إلى:

- التعايش الحضاري ظهر كمصطلح جديد وبصورة خاصة خلال القرن العشرين في الفكر الغربي لكن هو مصطلح قديم ظهر بظهور الإسلام و الدولة الإسلامية، وهذا ما أثبته القرآن الكريم في عدة مواضع، إضافة إلى السنة النبوية و في التاريخ الإسلامي بمختلف مراحله. حيث أخذا هذا المفهوم عدة اتجاهات حسب توظيف كل دولة أو حسب التوجهات الفكرية المختلفة ، لكن التعايش هو فكر يدعوا إلى التقارب بين الأمم دون النظر لا للاعتبارات الدينية ولا اللغوية و لا العرقية .
- لقد ضمنت الدولة العثمانية ومن خلال نظام حكمها التعايش الحضاري بمختلف أنواعه، في مركز الحكم بإسطنبول وفي الولايات العربية التي ضمتها تحت حكمها.
- المؤسف في الأمر و بالرغم من هذا التسامح و الرحمة و الألفة التي تمتع بها غير المسلمين في الدولة العثمانية و التي طبقات ذلك وفقا لما نصت عليه الشريعة الإسلامية، إلا أن الأمر انعكس سلبا على العثمانيين وعلى العرب، حيث استغل الأجانب (أوروبيين مسيح، يهود، وغيرهم) هذه المعاملة في نخر جسد الدولة العثمانية، حيث كان من بين أسباب سقوط الدولة العثمانية التدخل الأوروبي

في شؤونها، فلم يقدر غير المسلمين هذا الإحسان ، فظهر التحامل الأوروبي على الدولة العثمانية ، بل كان مشروع لإنهاء الإمبراطورية العثمانية التي توسعت في إفريقيا و آسيا وأوروبا.

- صحيح أن التعايش الحضاري فيه ما فيه من إيجابيات منها التعارف و التسامح بين الشعوب، لك هذا الأمر انعكس سلبا في مستقبل الوطن العربي الذي عرف الفتن الطائفية ، و التأثر بالعلمانية والتي ظهرت في التوجهات الثقافية لدى المثقفين العرب، ناهيك عن التخلي شيئا فشيئا عن الحضارة الإسلامية ، فأصبح العرب مولعون بتقليد الأوروبيين في كل شيء، فأصبح العربي تائه بين حضاريتين.
- وعليه، فالتعايش الحضاري لا يعني أبدا الذوبان في الثقافات الأخرى ولا يعني إلغاء مبادئنا و مقوماتنا، أو التخلي عن ديننا أو عن لغتنا أو التفاخر بالحضارة الأوروبية، التعايش الحضاري هو احترام الآخرين المختلفين معنا ، التعايش الحضاري يعني العيش في مودة و طمأنينة بين بني البشر المختلفين ، فالاختلاف هو سنة الله في خلقه، فلا يصح أن نغير مسار التعايش الحضاري الذي يعد ركيزة المجتمعات المتحضرة ، المجتمعات التي لا تفتح مجالا للصراعات الطائفية و العرقية ، لذلك كان التعايش الحضاري في الفكر الإسلامي ، أحسن صور التعايش الحضاري.

المراجع:

المراجع العربية:

1) أبورية عطا. (2005). اليهود في ليبيا و تونس و الجزائر. القاهرة: إيتراك للنشر و التوزيع.
2) أحمد الزايد. (2006). سيكولوجية العلاقات بين الجماعات قضايا الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات. الكويت: منشورات مطبعة المجموعة الدولية.
3) الزواوي علي. (1988). أصول الوافدين على صفاقس خلال القرنين 18-19م. تأليف التميمي عبد الجليل، الحياة الإجتماعية في الولايات العربي خلال العهد العثماني. تونس: مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموركسية و التوثيق و المعلومات .
4) الكيالي عبد الوهاب. (1990). تاريخ فلسطين في العصر الحديث .ط10. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر،.
5) المقريزي أحمد بن علي تقي الدين. (دت). تاريخ الأقباط. تر:عبد المجيد ذياب.القاهرة: دار الفضيلة للنشر و التوزيع.

6) أودميز حسين. (2013). فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني. القاهرة: دار النيل للطباعة و النشر.
7) بن خوجة محمد. (1986). صفحات من تاريخ تونس. لر:لساحلي حمادي الساحلي، و بن الحاج الجيلاني ،بيروت: دار الغرب الإسلامي.
8) بن رجب رضا. (2010). يهود البلاط و يهود المال في تونس العثمانية. بيروت: دار المدار الإسلامي.
9) حسن، الزين. (1982). أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي أضواء على الأوضاع الإجتماعية و القانونية . بيروت.
10) حماش خليفة. (2006). الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث). بوزريعة، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، الجزائر: جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.
11) رحال سالم أحمد. (2007). فلسطين بين حقيقة اليهود و أكذوبة التلمود. عمان الاردن: دار البداية.
12) زيد عبد الحكيم سعيد. (2007). نصارى العرب و أقباط مصر قراءة تاريخية و رؤية تحليلية. القاهرة: مطبعة زهران.
13) سعدالله فوزي. (2004). يهود الجزائر هؤلاء المجهلون. ط2. الجزائر: شركة دار الأمة للنشر و التوزيع.
14) شويتام أرزقي . (2006-2005). المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519-1830 م (رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر). كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، الجزائر: جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.
15) طوبال نجوى. (2005-2004). طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830م من خلال سجلات المحاكم الشرعية (رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث). بوزريعة، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، الجزائر: جامعة.
16) غنيمي الشيخ رأفت. (1976). تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة. بنغازي: دار الحقيقة للنشر و التوزيع،.
17) كايدو أكرم. (1992). مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية. تر: هاشم الأيوبي. لبنان: منشورت جروس برس.
18) محمد فريد بك. (1896). تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ط2. مصر: مطبعة أفندي مصطفى بحوش.
19) محمود أيمن أحمد. (2015). مسألة ترميم دير الأقباط بالإسكندرية في نهاية القرن الثامن عشر في ضوء وثيقتي فتوى شرعية. تأليف: محمود لؤي، و منصور أحمد. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية.
20) مولود زايد طبيب. (2005). العولمة و التماسك المجتمعي في الوطن العربي. بنغازي: لمركز العربي للدراسات و أبحاث الكتاب الأخضر.
21) ناجي محمود. (دت). تاريخ طرابلس الغرب، تر:آداهم عبد السلام، و الأسطى محمد،ليبيا: منشورات الجامعة الليبية.

المراجع الأجنبية:

1) Ahmet kurucan, M. k. (1999). Dialogue in Islam Qur'an-Sunnah-History. London: Dailigue society.
2) Alhukail, S. (1999). Les droit de l'homme en islam et le refutation des prejuges souleves contre l'islam. Arabie saoudite: Maison Ashbilia.
3) Benz shar, S. j. (2015). Le dialogue de vie. Berne: Schelldruck roberts hess .

4) F.Konstantinov. (s.d.). Socoologie.
5) Francis paul, b. (1980). Les ideologiés politique moderne. France: Presses universitaires de france.
6) Gilbert, W. (2003). Juifs d'algérie. France: Soline.
7) Jean, G. (1960). La polpulation européenne de tunis au milieu de Xix siécle étude démographique. France: Presses universitaires.
8) Klaus, R. (2006). Living together or living side by side ? Interthinc coexistence in mulithinc societies,. Berlin: Lit verlag.
9) Konstantinov, F. (1966). Sociologie et édologie. France: L'harmatan.
10) Phillips, G. (2011). Introduction to secularism. London: the national secular societ.
11) Victor, T. (1902). Sur les psychoses chez les juifs d'algérie. Montpellier France: Delord boehm& martial,.
12) Zaydan, Abdulkarim. (1982). Traitement des minoirités non musulmaneset des étrangers dans le droit islamiqueles droits de l'homme en islam. colloque international droits de l'homme en islam, Lacossion internationale de justise, Kuweit.